



مجلة العاصمة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

إشكالية الخطيئة الأولى في عقيدة النصارى ومفهومها في السنة النبوية

عامر إسماعيل داود & د/ أحمد مجتبي با نقا أحمد علي

أستاذة قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا

ملخص البحث

ظلت قضية المعصية التي صدرت عن نبي الله آدم - عليه السلام - والتي قد تاب الله تعالى عنه، تشغل حيزاً كبيراً من أفكار الباحثين، وظلت هذه المسألة ذات أبعاد تمسك البعض بها وأعطوها شمولية غير متناهية - خاصة من النصارى -، حيث أئتموا جميع أبناء آدم الذين جاءوا من بعده بما فعله هو، واستغفر الله فغفر له، مع أن تأثيم شخص بما لم يفعله خلاف القسط والعدل، بل إن فكرة الخطيئة والفداء وغرابتها أصبحت محلاً للسخر. فجاءت هذه الدراسة لتبحث هذه القضية من الجهة التي نظر فيها النصارى، وكذا ما ورد عن النبي ﷺ من أحاديثه الشريفة، عسى أن نخلص إلى النتيجة المتوخاة في هذه المسألة المهمة إن شاء الله تعالى.

مقدمة

كانت قضية المعصية - الخطيئة - التي صدرت عن نبي الله آدم - عليه السلام - والتي قد تاب الله تعالى عنه، تشغل حيزاً كبيراً من أفكار الباحثين، وظلت هذه المسألة ذات أبعاد تمسك البعض بها وأعطوها شمولية غير متناهية - خاصة من النصارى -، حيث أئتموا جميع أبناء آدم الذين جاءوا من بعده بما فعله هو، واستغفر الله فغفر له، مع أن تأثيم شخص بما لم يفعله خلاف القسط والعدل، بل إن فكرة الخطيئة والفداء وغرابتها أصبحت محلاً للسخرية كما يقول صاحب كتاب "المسيحية الأصلية": "ومن المدهش أن هذه القضية الخاصة بيسوع ابن الله ليس محبوباً في العصر الحاضر، ويقال عن حمله خطايانا، ورفع قضاها عنا: إنه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق، ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء" (١). فجاءت هذه الدراسة لتبحث هذه القضية من الجهة التي نظر فيها النصارى، وكذلك النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة، عسى أن نخلص إلى النتيجة المتوخاة في هذه المسألة المهمة إن شاء الله تعالى.

وقد اختار الباحث لهذه الدراسة النموذجين من الأحاديث، هما:

الحديث الأول: عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" (٢).

والحديث الثاني: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "تحتاج آدم وموسى فحج آدم موسى فقال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال آدم أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالتك؟ قال نعم. قال فتلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق؟! (١).

١ انظر، عقيدة الخطيئة الأولى وفداء الصليب، ص ٢٢٦.

٢ رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه، البخاري، ج ٣، ص ١٢١٢، حديث رقم ٣١٥٢. وصحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٩، حديث رقم ٣٧٢٤. وأحمد في المسند، ج ٢، ص ٣١٥، حديث رقم ٨١٥٥، وغيرهم.

وتتلخص النقاط المقصودة بالدراسة في الآتي:

- بيان مفهوم الخطيئة في الجانبين ومقارنة ذلك.
- تحديد المقدم على تلك الخطيئة أولاً بين آدم وحواء - عليهما السلام.
- بيان الإشكالية الموجودة في المسألة.
- بيان ما توصل إليه الباحث من نتائج في هذه القضية.

وستكون دراسة هذه النقاط على شكل إثارة إشكالية حول أجزاء الموضوع، ومحاولة الإجابة عنها، بما يتناسب والبحث العلمي.

مفهوم الخطيئة في الجانبين:

يختلف الإسلام والمسيحية في مفهوم الخطيئة؛ فالإسلام يقرر بأنها لا تُورث بينما النصراني يرون أنها عمل موروث، الذي بسببه يشقى الإنسان، وهو مذنب آثم بعامل الوراثة. جاء في سفر التكوين - على ما فيها مما يثبت العقل المسلم بل ولا حتى صاحب عقل متجرد من الهوى -: " وأخذ الرب الإله آدم، ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت... وكانت الحية أحيلاً لجميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله؟، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكل من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه، ولا تمساه لنلا تموتاً. فقالت الحية للمرأة لن تموتاً، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شبيهة للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل فانفتحت أعينهما، وعلمتا أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر. وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختباً آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأنني عريان، فاختباً، فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم. ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لفظ امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها. ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب، وإلى تراب تعود...". (٢)

من خلال ما سبق يلاحظ أمور عدة متناقضة، منها:

1. يلاحظ أن هذه القصة صورت الذات الإلهية بما لا يليق وكمال الله تعالى.

١ رواه البخاري ومسلم و اللفظ له، البخاري، ج٤، ص١٧٦٤، حديث رقم ٤٤٥٩، ومسلم، ج٨، ص٤٩، حديث رقم ٦٩١٢.
٢ التكوين، ج٢، ص١٥؛ ج٣، ص٢٤، بواسطة وليد المسلم، في كتابه: عقيدة الخطيئة الأولى وفداء الصليب.

2. وكذا يفهم من القصة أن خطأ آدم - حسب هذه الرواية - هو محاولته معرفة الخير والشر!، وبحسبها أيضاً أن

آدم وحواء غير عارفين للخير والشر، وبالتالي لا يكونان مكلفين، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يأتان؟

3. فعقاب حواء: "تكثر أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك".

وأما عقوبة آدم " ملعونة الأرض بسببك، وبالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل

عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً". وواضح أن هذا مناقض لأول القصة حيث توعد به الإله: "لأنك يوم

تأكل منها موتاً تموت". إلى غير هذا من المسائل الواردة في القصة، والمخالفة للعقل السليم في الوقت نفسه.

تبدأ قصة الخطيئة ثم الخلاص والقداء عندما خلق الله آدم في جنته، ونهاه عن الأكل من أحد أشجارها، فأغواه إبليس،

فوقع الأبووان في شرك كيده، وأكلا من الشجرة المحرمة، فعاقبهما الله بما يستحقا، وأنزلهما إلى الأرض.

تحديد المقدم على تلك الخطيئة أولاً بين آدم وحواء - عليهما السلام:

الإشكال الأول: هل يوجد في المسألة رواية صريحة تدل على أن حواء هي البادئة بالأكل قبل آدم عليهما السلام؟

أما بالنسبة لوجود الرواية الصريحة تنص على من بدأ بالأكل من الشجرة المنهي عن أكلها بين آدم وحواء عليهما

السلام، فلم أقف على رواية صريحة مرفوعة إلى النبي ﷺ غير الرواية السابقة، وإنما وجدت آثاراً موقوفة على بعض

الصحابة، منهم ابن عباس، وابن مسعود، وأبو مالك الأشجعي، يستأنس بها؛ لأنها مما له حكم الرفع، ولأنه مما لا يقال

فيه بالرأي، وهذه بعضها: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "قال الله تبارك وتعالى لآدم: يا آدم، ما حملك على أن

أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: فاعتل آدم، فقال: يا رب، زينته لي حواء، قال: فإني عاقبتها بأن لا تحملها إلا

كرها، ولا تضعها إلا كرها، ودميتها في كل شهر مرتين، قال: فرنت حواء عند ذلك فقيل لها: عليك الرنة وعلى بناتك".

هذا موقف صحيح الإسناد. (١)

وعن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: لما قال

الله عز وجل لآدم: "اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"،

أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة. فأتى الحية - وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن

الدواب - فكلما أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فمها - قال أبو جعفر: والفقم جانب الشدق -

فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر. فكلمة من فمها فلم يبال كلامه، فخرج إليه فقال: «يا

آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» سورة طه: ١٢٠، يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكاً مثل

الله عز وجل، أو تكونا من الخالدين، فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله إنني لكما لمن الناصحين. وإنما أراد بذلك ليبيدي

لهما ما توارى عنهما من سواتهما بهتك لباسهما. وكان قد علم أن لهما سواة، لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن

آدم يعلم ذلك. وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كل! فإني قد أكلت فلم

يضرني. فلما أكل آدم بدت لهما سواتهما وطفقا يخرصان عليهما من ورق الجنة". (٢)

١ الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، المطالب العلية، ج ١، ص ٢٧٣. وأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ج ٦، ص ١٧٦. وقال ابن حجر في فتح الباري، ج ١، ص ٤٠٠: وروى الحاكم وابن المنذر بإسناد صحيح عن بن عباس، أن ابتداء الحيض كان على حواء بعد أن أهبطت من الجنة وإذا كان كذلك فبنات آدم بناتها والله أعلم.

٢ تفسير الطبري، ج ١، ص ٥٢٦، والسيوطي في الدر المنثور ج ١، ص ٥٣، وفتح القدير للشوكاني ج ١، ص ٥٦.

ومما يستشهد به في مسألة ذكر الحية معهما واستخدام إبليس لها، ما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الحيات، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ما سالمناهن منذ حاربناهن ومن ترك شيئاً منهن خيفة فليس منا" (١). وزاد عند أحمد: "يعني الحيات".

والإشكال الثاني في الموضوع: هل قوله ﷺ: "ولولا حواء لم تخن أنتى زوجها الدهر" يدل على أنها هي التي حرصت آدم عليه السلام في أكل من الشجرة، بينما في القرآن الكريم كل الآيات التي جاءت وردت بصيغة التثنية، كقوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾، وقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾، وغيرهما من الآيات مما يدل على أنهما بادرا بالفعل؟ ومالمراد بالخيانة التي تمتد إلى جميع النساء بعد حواء؟

الذي يظهر لي والله تعالى أعلم، أن الحديث لا يخالف ما جاء به القرآن، حيث استعمل لفظ التثنية فيما يتعلق بالأكل، وإغواء الشيطان لهما، و﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: ٣٦، ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ الأعراف: ٢١، وقوله: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ الأعراف: ٢٢، وقواه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الأعراف: ٢٠، إلخ، هذا كله باعتبار المأل والنهي عن الإغواء والوسوسة إلخ، أي كلاهما وقع في المعصية بالأكل في النهاية، إذ لا يلزم عقلاً ولا لغة أن يكون المراد حصول الأكل منهما في نفس المرة واللحظة، لكن يدل كما قلت أن ذلك وقع بعد محاولة الشيطان في الإغواء والتضليل، ومتابعته لهما حتى وقعا فيه.

وهو من قبيل قولنا: دخل رجلان، وخرج رجلان، فلا يلزم أنهما دخلا ملتصقين متلازمين، وإنما يعني أن كليهما دخل تلو الآخر، وخرج تلو الآخر. بل القرآن ساكت في هذه الجزئية بالذات، ولعله لأجل أنها لا يتعلق بها شيء كبير، أو لأنه مما لا يتبادر على الذهن ولا يترتب عليه شيء، إذ إننا لو أثبتنا أن آدم هو البادئ بالأكل ثم حواء، ماذا يترتب عليه من العمل أو غيره؟ هذا مثل تنصيص وتخصيص القرآن لتوبة آدم دون حواء في أغلب المواقف، لا يعني أن حواء لم تتب، وإنما نص على آدم لأنه هو المأمور الأول والمقصود الأساسي في مهمة خلافة الأرض، وتهينته لذلك، وإنما حواء تبع له فيه، وإن كانت هي أيضاً مكلفة، لكنها لم توجد أساساً لخلافة الأرض كما كان آدم.

وخاصة مع ورود هذه الروايات، وإن كان بعضها موقوفاً، فهي مما لا يقال بالرأي والاجتهاد، أعني أن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ، وأيضاً لما تقرر في الأصول من بيان مهمة السنة تجاه القرآن الكريم؛ بأنها شارحة للقرآن ومبينة له.. فتكون هذه الروايات شارحة ومبينة لما جاء في القرآن، وليست مخالفة. وأما خيانة باقي النساء وهن بنات حواء، فخيانة كل امرأة منهن بحسبها؛ منهن مكثرة للخيانة ومنهن مقلدة لها أيضاً، ومعنى الحديث أن حواء هي أم بنات آدم فأشبهنها في هذا النوع من الخيانة من نزع العرق، لما جرى لحواء من أكل الشجرة بإغواء الشيطان لها، فتزيينها لآدم بالأكل منها، ولا يعني هذا تأنيهاً بفعل غيرها من النساء اللاتي جنن بهدها، وهذا ليس من شريعة الإسلام في شيء. (٢)

والإشكال الثالث، متعلق بالحديث الثاني مفاده: أين التقى موسى آدم حتى حاوره ووجه إليه هذا اللوم؟

أما مكان التقاء آدم موسى، الذي جرت فيه هذه المحاور، فهو من الأمور الغيبية التي لا يمكن الجزم بشيء منها إلا عن طريق السمع، ولم يأت نقل خاص بهذه القضية بالذات، إلا أن لها مثيلاتها مما يمكن الاستشهاد بها على هذه، وهو لقاء

١ أخرجه أبو داود في السنن، وقال الألباني: حسن صحيح، ج٤، ص٥٣٤، حديث رقم ٥٢٥٠. وأحمد في المسند عن أبي هريرة و ابن عباس وهذا رقم حديث ابن عباس: ج١، ص٢٣٠، حديث رقم ٢٠٣٧، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وابن حبان (٥٦٤٤) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
٢ انظر النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ١٠ / ٥٩.

النبى عليه الصلاة والسلام ببعض الأنبياء عليهم السلام، وصلاته بهم ببيت المقدس ليلة المعراج، وكذلك الحياة البرزخية؛ التي ثبت أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء، وأن أرواحهم تلتقي مع بعضها كما ثبت في ليلة الإسراء، وغير ذلك مما يمكن أن يُقاس أو يُرجع مثل هذه المحارة إليه، وإن كنتُ أرى أن المسألة مما لا يتعلق بتحديد كبير فائدة؛ إذ إنه لا ينبني عليه عمل. وقد وقفت من كلام أهل العلم في تحديد مكان حدوث هذا النقاش على أقوال سبعة وهي:

1. التقت أرواحهما في السماء فوق الحجج بينهما. (١)
 2. وأنهما اجتمعا بأشخاصهما، ويحتمل أن ذلك جرى في حياة موسى فسأل الله أن يريه آدم فحاجه. (٢)
 3. وقعت هذه المحاجة في الحياة البرزخية قبل يوم القيامة، ومعلوم أن الأنبياء أجسادهم في قبورهم، ولكنهم يلتقون أرواحاً على صور أجسادهم، مثل ما حصل للنبي ﷺ ليلة المعراج، فإنه لقيهم وصلى بهم في بيت المقدس. (٣)
 4. وقيل يجوز أن يكون ذلك يوم القيامة.
 5. ويحتمل أن يكون جرى ذلك في حياة موسى عليه الصلاة والسلام.
 6. وقال ابن الجوزي: يجوز أن يكون المراد شرح حال بضرب مثل لو اجتمعا لقالا. ثم قال العيني: "فإن قلت: ما وجه اختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بهذا دون غيره من الأنبياء؟ قلت: لأنه أول من جاء بالتكاليف". (٤)
 7. يحتمل أنه في زمان موسى؛ فأحيا الله له آدم معجزة له فكلمة أو كشف له عن قبره فتحدثا أو أراه الله روحه كما أرى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أرواح الأنبياء أو أراه الله له في المنام ورؤيا الأنبياء وحى. (٥)
- وهذه المسألة لا ينبني عليها كبير عمل - كما سبق - وهي مما يجب الإيمان به فقط لثبوته عن خير الصادق المصدوق - عليه الصلاة والسلام -، وإن لم يطلع على كيفية حقيقته، وليست هي بأول ما يجب علينا الإيمان به وإن لم نقف على حقيقة معناه؛ مثل عذاب القبر ونعيمه. قال ابن حجر: "ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم" (٦).

الإشكال الرابع: ألا ينافي تعامل موسى وملامه لآدم القيم الأخلاقية؟

مناقشة موسى لآدم وحججه له في هذه المسألة بالذات لا ينافي الأدب معه، لأمر منها:

١. لأنه لو كان مما يناقض القيم الأخلاقية لما فعه موسى عليه السلام.
٢. لأنه نبي مرسل من أولي العزم من الرسل؛ وهم خيرة الله في خلقه، عن طريقهم تعرف القيم الأخلاقية وغيرها.
٣. حكاية النبي (ع) لهذه المحاورة على سبيل التقرير لوقوعها، دليل على أن لا تنافي حسن الأدب.
٤. وأيضاً لم يثبت عن الصحابة الذين سمعوا هذا النقاش الدائر بين آدم و موسى، لم يستشكلوا صدور هذا من موسى، والعلماء المعتد بقولهم بعدهم، فدل على أنه لا ينافي القيم الأخلاقية.
٥. بل العكس أن العلماء نظروا إلى هذا الحوار من جانب آخر إيجابي، حيث استدل به بعضهم على جواز محاورة الصغير للكبير إذا كان لقصد المعرفة والتعليم، ومما وقفت عليه مما استنبطوه من المسائل الفقهية؛ - أعني من فقه الحديث -، ما يلي:

- ١ انظر النووي، الديباج على مسلم، ج ٦، ص ١٧.
- ٢ المصدر نفسه.
- ٣ شرح سنن أبي داود للشيخ العباد، ج ٢٧، ص ١١٧.
- ٤ بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٢٨، ص ٦.
- ٥ فتح الباري، ج ١١، ص ٥٠٦.
- ٦ المصدر نفسه، ج ١١، ص ٥٠٧.

٦. في هذا الحديث من الفقه إثبات الحجاج والمناظرة وإباحة ذلك إذا كان طلباً للحق وظهوره (١).

٧. وفيه إباحة التقرير والتعريض في معنى التوبيخ في درج الحجاج حتى تقر الحجة مقرها. (٢)

٨. وفيه دليل على أن من علم وطالع العلوم فالحجة له ألزم وتوبيخه على الغفلة أعظم. (٣)

٩. وفيه إباحة مناظرة الصغير للكبير والأصغر للأسن إذا كان ذلك طلباً للزيادة من العلم وتقريراً للحق. (٤)

ومن جانب آخر استشكل معنى هذا الحديث بعض الطوائف الإسلامية، في على ماذا

تقع ملامة موسى لآدم؟ وكذلك بماذا اعتذر آدم؟ هل هو اعتذر بالقدر على الذنب؟ أم اعتذر بالقدر على المصيبة التي سببت الخروج من الجنة. فانقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاث مذاهب، وهي كالتالي:

١. مذهب القدرية والمعتزلة وأشباههم قالوا: هذا الحديث لا يثبت وردوه، قالوا: لأن فيه حجة لأهل المعاصي، فيعصي الإنسان ويقول: قدر الله عليّ؛ لأن آدم قال: قدر الله عليّ قبل أن أخلق بأربعين سنة، فردوه لأجل هذا، وهو صحيح.

٢. مذهب القدرية المرجنة وغلاة الصوفية فقالوا: هذا الحديث حجة لهم، فاحتجاج العاصي بذلك جائز له؛ لأنه في الحقيقة لا فاعل إلا الله.

٣. مذهب أهل السنة: وهو أن موسى عليه السلام لم يعتب آدم على الذنب، ولم يقل لآدم كيف تذنبت وتعصي، أو كيف تأكل من الشجرة، وإنما لومه على المصيبة التي حصلت وترتبت على ذلك الذنب وهي الإخراج من الجنة، وليس هذا بيد آدم حتى يلام، لذلك غلب موسى وأفحمه بالحجة.

وكان آدم عليه السلام قال: أنا لم أخرجكم، وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكل من الشجرة، والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله - عز وجل-؛ فأنت تلومني على أمر ليس له نسبة إليّ أكثر من أنني نهيت عن الأكل من الشجرة؛ فأكلت منها، وكون الإخراج مترتباً على ذلك ليس من فعلي؛ فأنا لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة، وإنما كان هذا من قدر الله وصنعه، وله الحكمة البالغة في ذلك؛ فلماذا حج آدم موسى وغلبه بالحجة التي لا يستطيع أن يدفعها.

الإشكال الخامس: هل هناك أوجه التشابه والاختلاف بين خيانة حواء، وبين خيانة امرأة نوح وامرأة لوط؟

ومما يجب أن يفهم في هذه المسألة؛ أعني تزيين حواء لآدم حتى أكل من الشجرة المنهي عنها، وخيانة زوجتي نوح ولوط؛ أن الجميع لم تكن بالزنا والفاحشة - فحاشا لله.

أولاً: أجمع المفسرون هنا على أن الخيانة ليست زوجية.

وقال ابن عباس نساء الأنبياء معصومات ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن وإخبار أقوامهن بمن يؤمن مع أزواجهن (٥).

ثانياً: الحقيقة إنني لم أقف إلى الآن على شيء من كلام أهل العلم من ذكر لمشابهة خيانة هؤلاء بعضهم بعض، وإنما يمكن أن يقال: تشبه خيانة حواء عليها السلام خيانة هاتين امرأتين من حيث الاسم فقط، لأن الخيانة اسم جنس شامل لما

١ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، (مؤسسة القرطبة)، ج ١٨، ص ١٥.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه.

٤ المصدر نفسه.

٥ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار فكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ٨، ص ٢٢٤.

صدر منها من تزيين وتحسين الأكل من الشجرة لآدم، كما أنه شامل لخيانة امرأة نوح؛ من إخبار الناس أنه مجنون، وخيانة امرأة لوط التي تدل قومه على ضيوفه ليفعلوا بهم الفاحشة. أي أن الخيانة كانت في الدين، وليست في العرض. ووجه الاختلاف بين خيانة حواء، وخيانة امرأة نوح وامرأة لوط: أن خيانة الأخيرتين تدل على المخالفة في المعتقد والبغض كذلك لزوجيهما، بخلاف خيانة حواء؛ فإنها لا تدل على العداوة والمخالفة له، بل توحى بالحب له والموافقة له في الدين.

الإشكال السادس: لماذا لم يختار الله سبباً آخر لإخراج آدم وحواء من الجنة، بدل منعهما من الأكل من الشجرة؟

ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أن آدم عليه السلام خلق أساساً لمهمة خلافة الأرض، وليس ليسكن الجنة إلى الأبد، وإنما أسكن الجنة هو وزوجته لوقت محدد يعلمه الله وحده، وأمره الله تعالى وزوجته حواء أن يأكلا من جميع شجر الجنة، غير شجرة واحدة نهاهما عن الأكل منها، وهو سبحانه يعلم أنهما لا يفيان بهذا الميثاق؛ لما ركب فيهما من عنصري الطاعة والمعصية، وإنما جعل هذا السبب ككيد إلهي حتى لا يخرجهما من الجنة إلى الأرض من غير سبب، فيتناهى مع العدل الإلهي. وهذا نظير قوله في سورة يوسف: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن تَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٧٦.

الإشكال الثامن: لماذا لم يوجه موسى اللوم لحواء دون آدم، لأن الحديث ينص على أنها هي البادئة؟

فيما يتعلق بهذا أيضاً ما وجدت - إلى تحرير هذا القرار - من نبيه إلى هذه النقطة، فما أدري ما السبب؟ ويمكن أن يقال: سببه كون آدم عليه السلام هو المسؤول الأول والمأمور المباشر في ألا يقترب من الشجرة وحواء تبع له، - وهو أمر يسانده التعبير القرآني، حيث استعمل في بعض جزئيات هذه القصة توجيه الكلام إليه وحده، كقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ١١ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ١١٦ فَفَلَّنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ١١٨ وَأَنْتَ لَا تَطْمَأَنِّ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ١١٩ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْيَأُ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ١٢١ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ١٢٢﴾. وقوله: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧. إلخ، حيث وجه الخطاب لآدم وحده، وحواء تشاركه فيه. على كل، فاختياره أن يوجه اللوم إلى آدم دون حواء، وحكاية الرسول ﷺ لهذه الواقعة دون تعليق، أو بيان خطأ؛ دليل على أن ما فعله موسى عليه السلام، لا مطعن فيه عقلاً ولا شرعاً، إذ لو كان يدل على شيء من ذلك لنبه عليه النبي ﷺ؛ لأن مهمته عليه الصلاة والسلام تكمن في البيان والإرشاد.

الإشكال السابع: وهل هناك من فرق المسلمين من له اعتقاد مشابه لاعتقاد النصارى في الخطيئة الأولى؟

أما مسألة وراثته الذنب، أو اعتقاد الخطيئة الأولى؛ التي يشترك الجميع في تبعاتها فغير موجودة عند فرق المسلمين، حسب ما وقفت عليه من أقوال من تكلموا في الفرق الإسلامية ومقالات أصحابها، اللهم إلا ما يكون من الشيعة الإمامية يوم عاشوراء، من ضرب رؤوسهم بالحديد تذكراً لما حصل لحسين بن علي رضي الله عنهما ذلك اليوم من القتل وهو مظلوم، لكن هذا عندي مع الفارق الكبير بينهما؛ لأن الروافض لا يعتقدون أن جميع الناس مشتركون في ذلك الذنب، وإنما فقط كذكرى وتعسف لما حصل له فحسب. بينما النصارى - وخاصة بعد بولس - ينظرون إلى كل الناس بأنهم ماثومون بوراثته المعصية التي صدرت من آدم عليه السلام، ولا يمكنهم الخلاص من هذا الذنب إلا إذا قبلوا صلب المسيح وآمنوا به، وهذا خلاف العدل والعقل!.

وهو معتقد غريب حتى التوراة لا تقره، بل الدليل قام على خلافه، إذ جاءت النصوص تنفي وراثته الذنب، وتؤكد تحميل كل إنسان مسئولية عمله، ومنها (١) ما جاء في سفر (التكوين ٢٣/١٨ - ٢٥): "أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً". وما جاء في (حزقيال ٢٠/١٨ - ٢١): "النفس التي تخطيء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون" (٢). وقد أنكر المسيح نفسه الخطيئة الأصلية في (يوحنا ١٥/٢٢ - ٢٤) بقوله: " لو لم آت وأكلمهم، لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم حجة في خطيتهم... لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، لما كانت لهم خطيئة، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني"، فالنص ليس فيه أي ذكر للخطيئة الموروثة، بل هو لا يعرف شيئاً عنها (٣). وهذه الفكرة منقولة عن الأمم الوثنية التي جاورت اليهود وانتشر فيها هذا الفكر، وهذا الذي عابه عليهم الكتاب المقدس جاء ذلك في سفر (الملوك (٢) ٩/١٧ - ١٨): "وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم، والذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم... فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه".

الخاتمة

بعد طرح ما سبق من إیرادات حول هذه القضية وما توصلت إليه في محاولتي الإجابة على هذه أسئلة، تبين عدة نقاط:

١. أنه توجد رواية صريحة تؤيد رواية البخاري ومسلم وغيرهما، تحدد أن حواء هي التي بدأت بالأكل قبل آدم.
٢. وأن إثبات أن حواء هي التي بدأت بالأكل، لا يعارض ما جاء في القرآن، وإنما لم يحدد القرآن المبادر منهما.
٣. واختيار الله تعالى وجعله الأكل من الشجرة المنهي عنها آدم وحواء هو سبب إخراجهما من الجنة - يظهر لي - أنه أولى لما سبق ذكره في البحث.
٤. وأن عقيدة توارث الذنب أو الخطيئة، غير موجودة بين الفرق الإسلامية بهذه الصورة الموجودة عند النصارى اليوم. والموجود هو إثبات وقوع الخطأ من نبي الله آدم وحواء عليهما السلام، وقد تابا منه وتاب الله عليهما، ولم يرث أحد من أبنائهما شيئاً منه البتة.
٥. وأن ملامة موسى لآدم عليهما السلام لا تنافي القيم الأخلاقية، وإنما تدل على جواز السؤال والتأنيب فيه، ومرجعة الصغير للكبير بغرض التعلم.
٦. وتبين أن عقيدة وراثته الذنب دخيلة على النصارى أنفسهم، جاءت من قبل بولس، ولم تكن موجودة من قبله.
٧. وأنه ليس هناك مشابهة بين خيانة حواء لآدم عليهما السلام؛ - التي هي التحسين والتزيين -، وبين خيانة امرأة نوح وامرأة لوط، فخيانة الأخيرتين في العقيدة والدين.
٨. واختيار موسى أن يوجه الملام إلى آدم هو الأنسب - عندي - حسب المبررات التي سبق إيضاحها.

١ انظر هذه النصوص بواسطة كتاب د. منقذ بن محمود السقار، عقيدة الخطيئة الأولى وفداء الصليب، ص ١٥٦ فما بعدها.
٢ المصدر نفسه، ص ١٥٦.
٣ المصدر نفسه.

١. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد، أبو حاتم البستي. ١٤١٤ / ١٩٩٩م). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري. الناشر : مؤسسة القرطبه.
٣. أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة.
٤. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). الجامع الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (ط٣). تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (م. دار ابن كثير).
٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، جامع الترمذي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين).
٦. الحاكم، محمد بن عبد الله بن البيع النيسابوري. (١٤١١/١٩٩٠). في المستدرك على الصحيحين (ط١). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. الخير آبادي، محمد أبو الليث، منهجية التعامل مع الأحاديث المشكلة حديث: "لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر" نموذجاً.
٨. د. منقذ بن محمود السقار، عقيدة الخطيئة الأولى وفداء الصليب.
٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري، الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
١٠. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت: دار الفكر).
١١. الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
١٢. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري بيروت: دار الفكر.
١٣. العظيم آبادي، محمد شمس الحق أبو الطيب. (١٤١٥هـ). عون المعبود شرح سنن أبي داود (ط٢). بيروت: دار الكتب العلمية.
١٤. العيني، بدر الدين الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري.
١٥. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار فكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٦. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري. (١٣٩٠هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٧. النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، المسند الصحيح. بيروت: دار الجيل، ودار الأفاق الجديدة.